٣١ _ توجيهات عقب صلاة العشاء ٠٣

للشيخ الدكتور

محمد أمان الجامي

رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

وبعد:

نَحمَدُ الله الذي منَّ علينا بهذا الدين وبهذه العقيدة وبهذا الاتجاه، ومن النِّعم التي يغبطنا فيها كل مَن فيه خير، ويحسدنا فيها أصحاب الشر والأهواء.

نحن نعيش أيها الشباب نعمة فذة لا يعيشها غيرنا، هذا الكلام يقوله مَن له تدارك واطلاع على حياة العالم حوله، وليس في ذلك أدنى مبالغة، لأن الحياة التي نعيشها لا أعني بها الحياة المادية، والذين يتمتعون بالغنى والأموال الطائلة والثروات كثيرون من غيرنا.

لا أعنى هذا المعنى، ولكني أعني نعمة الإسلام، نعمة العقيدة، نعمة سلامة العقيدة، نعمة الأمن والأمان والاستقرار وطيب الحياة، نعمة البصيرة، هذه النِعم يفقدها كثيرٌ من غيرنا، ويتمتع بها مجتمع هذا البلد.

لذلك علينا أن نحمد الله كثيرًا ونشكره سبحانه ونطلب المزيد من فضله على ما نحن فيه.

ثم أيها الشباب: إني أُحب لشبابنا كل محبة وتقدير لِما أرى فيهم من التطلع إلى الخير ومعرفة الخير والعمل بالخير والدعوة إلى الخير، حرصكم هذا الحرص على معرفة العقيدة الصحيحة السليمة ومعرفة السُنَّة، والحرص على العمل بالسُنة، كما تدور أسئلتكم الكثيرة هنا وهناك، يجعلنا نتفاءل كثيرًا بمستقبل هذه الصحوة الإسلامية.

ولكن بقدر ما نتفاءل أصبحنا في هذه الآونة الأخيرة نخاف كثيرًا على شبابنا، وأن تُصاب هذه الصحوة بما لا تُحمد العُقبى.

سبب ذلك: الفتن المتتابعة المتلاحقة، الفتن التي كقطع الليل المُظلم، شبابنا في حيرة في هذا الوقت، يسمعون كثيرًا ويقرؤون كثيرًا، ويحضرون المحاضرات والدروس، ويسمعون من المشايخ والأساتذة والدكاترة آراءً مختلفة ومتباينة، لا يدرون ماذا يفعلون، مساكين، يُعذرون.

بينما كنا نحاول أن نخفف الوضع ونثبِّتهم بتوفيق الله تعالى في المسألة التي عُرفت في الآونة الأخيرة بالاستعانة بالكفار، وخاض الناس فيها خوضًا، وقال كل طالب علمٍ ما يفهمه وما يترجح عنده، واختلفت الآراء كما علمتم.

بينما نحن في معالجة هذه المشكلة لَحِقت مشكلة أخرى، مشكلة مظاهرة النساء، في مدينة ما كنا نتوقع أبدًا تقع فيها مظاهرات من الرجال لا من النساء.

قبل فترة طويلة في السبعينات كنت طالبًا في المرحلة الثانوية في معهد الرياض العلمي، حاول بعض أصحاب المهن مهنة معينة لا يقوم بها إلا فئة معينة، أرادوا أن يستغلوا عدم معرفة الناس بتلك المهنة وحاجة الناس إليها، فاتفقوا على الإضراب وألا يعملوا شيئًا في ذلك اليوم، الذين يعملون بما يُسمى لنوع من أنواع الخُبز.

تعمل فئة معينة، في ذلك الوقت كان عددهم قليل جدًا، ولأول مرة تظهر هذه المهنة في الرياض، واستغلوا عدم معرفة الناس بهذه المهنة وحاجة الناس كلهم إلى هذا النوع من الخبز، أضربوا يومًا كاملًا، تركوا ذلك، فوقع الناس في حيرة، والناس تعودت عدم فعل الطعام في الصباح إلا كل إنسان يرسل ابنه إلى المحل المعروف ويأتي بالطعام.

فَعلِم مسئول من مدينة الرياض فجمعهم، فقال لهم: في هذا البلد لا يوجد ما يسمى بالإضراب، إما تعملوا على حسب نظام البلد، أو تغادروا البلاد، لم يحصل بعد ذلك ما يسمى بالإضراب.

سَلِم هذا البلد مما يسمى بالإضراب والمظاهرات، لا يُعرفُ شيءٌ من هذه الفوضى.

في كثير من الأقطار الإسلامية والعربية تتعطل الدراسة أحيانًا سنة كاملة، وأحيانًا نصف سنة بسبب مظاهرة الطلاب وإضراب الطلاب، ويحصل من الأطباء ومن المعلمين ومن جميع الفئات، فوضى في فوضى دائمًا وأبدًا.

حَفِظ الله هذه البلد من هذه الفوضى، نظامٌ يضبطُ الناس، كلٌ في عمله، ولكن مع هذا الانفتاح الواقع تعلَّمت الناس بعض الأنظمة المُتبعة في الخارج، واستغل أعداء الدين من العلمانيين والبعثيين، وربما في أغلب ظني تعاون معهم بعض مَن ينتسبون إلى الدعوة إلى

الإسلام، لأنهم وإن كانوا فيما يبدو للناس أنهم دعاة إلى الإسلام، لكنهم كثيرًا ما يعملون ضد الإسلام.

وهذه الفئات التي أشير لها علاقة بكثير من الفوضويين في خارج هذا البلد، وهم حلفاء الروافض.

لذلك أنا لا أستبعد أن تكون هناك أصابع خفية من بعض الانتماءات وراء ما ظهر من فتنة الناس، لأنهم يعلمون أنها قد وقعت في بعض البلدان المجاورة مسيرة للنساء في كثير من عواصمهم، وقعت في الخرطوم وفي الأردن وفي الجزائر من المنتمين الذين أطلقوا على أنفسهم الإسلاميون.

لذلك لا أستبعد مرة أخرى أقول: أن يكون لمن يُسمون أنفسهم بالإسلاميين وبالجماعات الفلانية أن تكون لهم أصابع خفية من وراء تلك الفتنة العمياء التي وقعت في عاصمتنا على خلاف ما كنا نتوقع، لا أستبعد ذلك.

إذًا على شبابنا أن يكونوا يقظين، وإذا كانوا يكررون أن بعض العلماء يعنون كبار العلماء لا يعرفون الواقع، عبارة تقليدية، كبارهم يُلقِّن صغارهم، والصغار يُبلِّغون، كبار العلماء أصبحوا علماء الحيض والنفاس، يتحدثون عن أحكام الحيض والنفاس ولا يعلمون الواقع.

انتقاص ليس بعده انتقاص لأهل العلم والفضل، الذين علَّموهم وتخرَّجوا على أيديهم وكانوا في جهل جهلاء، ولما تعلموا رجعوا على مشايخهم وعلمائهم يطعنون فيهم.

أُعلِّمه الرماية كل يومٍ فلما اشتد ساعده رماني

***

إن المراهقين السياسيين والمراهقين الدعاة هم الذين شوشوا على شبابنا وبلبلوا أفكارهم، لأنهم هم الذين دائمًا على اتصال بالشباب.

نصيحتي لشبابنا: ألا يُصغوا لكل ناعق، وأن يحترموا كبار علمائنا، علماؤنا الذين تعلمنا على أيديهم ولا يزال أكثرهم على قيد الحياة لهم فضل بعد الله في بقاء العقيدة والإسلام والأخلاق في هذا البلد، يدافعون ولا يزالون يدافعون.

وهؤلاء الذين يقعون في العلماء لا يعرفون هدي رسول الله عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامَ في كيفية تقديم النُصح لولاة الأمر، هذا الجهل الذي ظنوه علمًا هو الذي أوقعهم في إساءة الظن بكبار العلماء والطعن فيهم بالجحود والمداهنة، ثم الطعن في ولاة الأمور.

هؤلاء القوم لهم جماعات في خارج هذا البلد، من فترة طويلة كانوا يتوقع أولئك أن يسمعوا أصوات إخوانهم في هذا البلد، فطال الانتظار، كانوا يتوقعون لماذا لا يضِجوا كما ضجوا هم؟ لماذا لا يقومون بالفوضى والمظاهرات كما قام أولئك في بلادهم وشوشوا على الحكام، وشوشوا الشوارع؟

لماذا الإخوان في البلد سكتوا هذا السكوت الطويل؟ كانوا يتوقعون بفارغ الصبر متى ينتفض الإخوان هنا كما انتفضوا في البلاد هناك.

لذلك لما وجدوا هذا السبب أرادوا أن يُصغوا أصواتهم لأولئك ليسمعوا لأن الحركة أيضًا بدأت هنا في هذا البلد، هذا حدث القوم.

ابن بطنك يعرف بطنه، اعرف هذا، كي لا تغفلوا عن هذا المعنى.

هؤلاء حلفاء الروافض وحلفاء المنحرفين في كل مكان، إذا قرأتم في كتاب الوقفات تعرفون بعض الحقائق التي أُشير إليها:

لما ظهرت لأول مرة في التاريخ دولة للروافض بادر هؤلاء الذين أطلقوا على أنفسهم الإسلامين، بادروا من كل بلد وشكَّلوا وفدًا عالميًا ليهنئوا دولة الروافض، وليصلوا على شهداء دولة الروافض، على حد تعبيرهم، وليقفوا وقفوا حزينة على شهداهم.

فقال لهم رئيسهم: كونوا خمينيين في كل بلد، لا نريد خمينيًا واحدًا في إيران ولكن نريد خمينيًا في كل أرض.

أخذوا هذه الوصية فرجعوا، وإنما لم يشترك الذين في هذا البلد استعمالًا للتقية، علَّموهم التقية، والتقية مبدأٌ عظيم عند الروافض، من لم يعرف التقية فليس برافضي، وكُل مَن يتعاطف معهم يعلِّموه التقية، فيعيشون على التقية.

هؤلاء يريدون أن يستغلوا فتنة النساء، ولعلهم كما قلت لهم: أسهموا في تحريفهن، ثم يطلعوا فوق المنابر فيضجوا: الإسلام الإسلام، الإسلام الإسلام، الإسلام الحبيب، الإسلام العظيم، كلمة حق أُريد بها باطل، الإسلام حبيب وعظيم لكن لا يُعظَّم هكذا، يُعظَّم في أهله في تعليم العلماء وتبجيل العلماء، الذين حملوا هذا الدين وحموا هذا الدين، هم حماة الدين علماء الإسلام، علماء المسلمين في هذا البلد.

لولا الله ثم ما يقوم به كبار العلماء في هذا البلد منذ عرفناهم لكانت الحياة اليوم غير هذه الحياة، وهم سدٌ منيع أمام الفتن، أمام الشرك، أمام الخرافات، أمام الأخلاق الفاسدة التي يحاول أعداء الإسلام والمسلمين أن تتسرب إلى مجتمع هذا البلد الطيب الطاهر.

لولا الله ثم وقوف العلماء هذا الموقف لكنتم تعيشون اليوم غير هذه العيشة وغير هذا الجو.

اعرفوا لعلمائكم قدرهم ومكانتهم وجهادهم، ولكنَّ الدعاة المراهقين والسياسيون المراهقون لا يحترمون العلماء، ويريدوا أن يثيروا الشباب ضد العلماء وضد ولاة الأمور بدعوى الإصلاح.

ما معنى ولاة الأمر؟ العلماء العاملون والأمراء الصالحون والزعماء العاملون، هؤلاء ولاة الأمر.

كيفية نُصحهم؟ ليست بهذه الطريقة، لا يُنصحون على المنابر والمحاضرات بأساليب غير مناسبة، بل الإنسان العادي إذا أردت أن تنصحه لا تنصحه على رؤوس الأشهاد.

يقول الإمام الشافعي: النصيحة على رؤوس الأشهاد فضيحة وليست بنصيحة.

لو قلت لشاب حليق أمام الناس: لماذا تحلق لحيتك يا حليق؟ أما تستحي؟ هل هذه نصيحة؟ ليست بنصيحة.

لكن لو أخذت بيده وانفردت به وهمست في أُذنه: أخي المسلم، حكم حلق اللحية حرام، وحكم إعفاء اللحية واجب، بيني وبينه تُعتبر نصيحة.

أما ما يقوم به الآن المراهقون السياسيون والمراهقون الدعاة من هذه الصيحة المجنونة على المنابر من الوقوع في العلماء وولاة الأمور هذه عين الفتنة، فيفتتن شبابنا فيقعون في حيرة، وما يدرون ماذا يفعلون.

لأن هؤلاء تظاهروا بالعلم، ولهم مناصب، ولهم ولهم، والشباب ينظرون إليهم أساتذة ودكاترة ومعلمين ومدرسين، ينخدعون بهم.

لذلك نصيحتي لشبابنا: التريث، وأن يقرؤوا في كُتب السلف، يقرؤوا في موقف المسلمين الأولين من ولاة الأمور، وولاة الأمور لا يُشترط أن يكونوا معصومين لا يعصون الله، لم يوجَد ولي أمر معصوم بعد رسول الله عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم.

كل إنسان يُؤخَذ عليه ويعاتَب، يُعرف منه ويُنكر، على تفاوتٍ بينهم، لم يأمرنا الإسلام أن نطيع ولاة الأمور إذا كانوا معصومين فقط، ولكن نهانا أن نطيعهم في المعصية، لكن في أنفسهم لا يشترط أن يكونوا معصومين، بل أُمرنا أن نطيعهم وأن نجاهد معهم ونحج معهم ولو كان فيهم المخالفة، ما لم يأمروا بمعصية الله.

اقرؤوا كتب الفقه وكتب السيرة وكتب الحَدِيث وموقف السلف الصالح لتعرفوا كيف تعيشوا مع ولاة الأمور ومع العلماء.

العلماء الصالحين من ولاة الأمور، كبار العلماء في هذا البلد اختيروا بعد تجربة طويلة ليكونوا في مقام الإفتاء والدعوة والإرشاد والإصلاح في الإذاعة وفي مدارسنا الخاصة، لترجع لهم الأمة في الدين.

وطلاب العلم اليوم من صغار الطلبة يلتفتون إلى علمائهم ويصفونهم بأنهم لا يعرفون الواقع، ويريدون بالواقع أي السياسة، رمتني بدائها وانسلت.

هؤلاء الذين يقولون هذا الكلام هم الذين لا يعرفون السياسية، السياسة ما هي؟ الحكمة وحُسن التدبير، السياسة الشرعية الحكمة وحُسن التدبير.

من أمثلة السياسة النبوية الشرعية: موقف الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المنافقين الذين كانوا يعيشون في المدينة بين الصحابة وهو يعرفهم.

لو أراد أن يقتِّلهم ويقضي عليهم سهلٌ عليه، لكن السياسة الحكيمة المحمدية الشرعية تمنع من ذلك، الناس في خارج الجزيرة يعرفون أن الذين يعيشون حول الرسول عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ في المدينة كلهم أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يعرفون الحقائق.

لو قتَّل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنافقين لأُشيع في العالم أن محمدًا يُقتِّل أصحابه، أيهما أخطر وأضر على الدعوة بقاؤهم بين المسلمين وهم معروفون ويتحفظون منهم، أو تقتيلهم ليُشاع ضد الدعوة ويؤدي ذلك إلى إيقاف سير الدعوة؟

هنا يأتي حُسن التدبير من الحكمة، ومن حسن التدبير أن يبقوا ويعامَلوا بالمعاملة الدنيوية، مع التحفظ من عقيدتهم وشرهم.

من السياسة الشرعية التي ينبغي أن يعرفها طلاب العلم أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نظر إلى باب الكعبة العالي ورأى ما يحصل من الضرر والضُر، حيث إن من له أحد من بني شيبة عند الباب أو في داخل الكعبة يسحب بيده، فيطلع على ظهور الناس، ومن ليس له شفيع أو وسيط يُطرد ويحاول الدخول، وينتهي زمن الدخول فيمتنع، مستمر إلى يومنا هذا.

نظر النبي عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامَ إلى هذا الواقع وهمَّ إلى تغيير وضع الكعبة، فيهدمها ويبني على بناء إبراهيم على أساس إبراهيم، ويجعل للكعبة بابان: بابٌ يُدخل منه وبابٌ يُخرج منه، ولا يحتاج إلى خادم من بني شيبة.

ولكن ما الذي يترتب على هذا لو سمعت الدنيا بالخارج؟ جاء محمدٌ ليهدم الكعبة، سياسةٌ هدامة وإشاعة هدامة، إذًا من حُسن التدبير ومن الحكمة أن يتحمل الناس هذا الضرر وهذا التعب إلى يومنا هذا إلى أن تنتهي الدنيا ولا يطاف بالكعبة، ففَضَّل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقاء هذه الظاهرة من هدم الكعبة وبنائها على أساس إبراهيم.

فالنبي عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم عندما أراد أن يغزو مكة، وأراد أن يعرف أسرار أهل مكة، ترك المسلمين واختار مشركًا ليكون عينًا له، هذه الحكمة، لأن المسلم لو اتُخذ في ذلك الأمر لا يعرف الحقائق في الطريق التي يأتي بها الخزاعي المشرك، لا يُشك فيه، يختصر بكل وادي ويداخلهم ويأتي بالأخبار.

هذه السياسة الشرعية الحكيمة، وللسياسة الشرعية أمثلة، اقرؤوا كتاب السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

كون الشباب المراهقين اليوم يتهمون العلماء وكبار العلماء لا يعرفون الواقع، يا سبحان الله، ماذا تعرفون من الواقع أنتم؟

ما جهله أولئك أصحاب التجارب القديمة الطويلة، تخرجتم على أيديهم ثم ترمونهم بالجهل وبالغباوة وبعلماء الحيض والنفاس؟ أليس هذا انتقاصًا؟ لا أدري ما نتيجة وما عاقبة هذا الانتقاص.

وتجد شبابنا يستمعون إلى مثل هذا الأسلوب، فيطعنون في العلماء، لا يجوز شرعًا وعقلًا ومنطقًا وذوقًا.

وما حصل من النساء سنعود مرة أخرى: أنا أقول في استنتاجي وحسب تجاربي للقوم: إن لأولئك أصابع تلعب مع البعثيين والعلمانيين والقوميين والنسائيين يشتركون معهم، لأن من منهجهم أن يستعينوا بأي إنسان وبأهل أي ملة إذا كانوا يظنون أن ذلك يقربهم من السلطة يومًا ما، وهم عُشّاق السلطة وخُطّاب الكراسي، كراسي الحكم.

لذلك لا تستبعد أن يعملوا كل شيء، خُذ مثالًا حيًا:

في الانتخابات التي جرت في الأُردن: أراد الإخوان أن يتحصلوا على أصوات، ولم يتيسر ذلك إلا أن يستعينوا بالقوميين والبعثيين الذين كانوا يكفّرونهم قبل أيام، استعانوا بالبعثيين والعلمانيين والقوميين وفازوا وتحصلوا على الكراسي الكثيرة، ولهم المكانة الآن هناك باسم الإسلام، والذين ساعدوهم على ذلك غير الإسلاميين.

مثال حيٌ واقعي نعيشه اليوم، والأمثلة من هذا القبيل كثيرة.

هؤلاء القوم الإسلام عندهم ليس بغاية، خذوها مني صريحة: الإسلام عند مَن سموا أنفسهم بالإسلاميين اليوم ليس هو الغاية، بل الإسلام وسيلة، ما الغاية عندهم؟ السلطة.

السلطة هي الغاية، سواءً وصلوا باسم الإسلام الخالص، أو بإسلام مشابه مختلط بغيره، لا يضر، المهم الوصول إلى السلطة يومًا ما، وهم يخططون للوصول إلى السلطة العامة كما يزعمون إلى الولاية الشاملة للقضاء على الدويلات المنتشرة في العالم العربي والإسلامي.

لذلك لا يعتبرون أي إسلامٍ إسلامًا، فإسلامكم ليس بإسلام عندهم، إسلامكم أنتم أيها المسلمون أصحاب العقيدة أهل التوحيد إسلامكم عند أولئك الإسلاميين ليس بإسلام.

خذوا تصريحًا من دكتور كبير من دكاترتهم وزعمائهم يقول: الذين يمثلون الإسلام في هذا الوقت الإخوان المسلمون والجماعة الإسلامية في باكستان والخميني، هؤلاء الثلاثة هم الذين يمثلون الإسلام اليوم في نظر الإسلاميين، ولم يُعرِّج على إسلامكم هذا، لا يعترف بإسلامكم وبعقيدتكم أنها عقيدة إسلامية وإسلامٌ جاء به محمد رسول الله عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام.

هؤلاء من مبادئهم: يدعون الناس أن يُفهم الإسلام بالمفهوم المعاصر اليوم، المفهوم القديم غير صالح، وقبل فترة طويلة خرَّجت بعض السجون محمود محمد طه، الذي دعا إلى الرسالة الثانية لمحمد رسول الله عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام، وزعم أن الرسالة الأولى التي جاء بها رسول الله لا تصلح لهذا الوقت، بل لا بد من رسالة جديدة يبلغها هو.

والآن إذا قرأتم للغزالي الجديد يُدندن حول هذا، يغيِّر الأحكام، فعدم قتل المسلم لكونه قتل كافرًا ينبغي أن يغيَّر هذا الحكم، والتفريق بين دية الرجل والمرأة ينبغي أن يغيَّر، ينبغي أن يُفهم الإسلام بمفهوم جديد معاصِر، هؤلاء من زعمائهم.

ويكتب هذه الأيام أحدهم كذلك، الغريب أنه في هذه الأيام السجون تُخرِّج عباقرة التجديد.

واحد لا يزال في السجن يكتب من وراء القضبان، كتب نقاطًا في الشرق الأوسط أن الإسلام يجب أن يُفهم من جديد، بمفهوم معاصر، وأن تلك المفاهيم غير صالحة في هذا الوقت.

نقل أفكار الغزالي نفسها، اقرؤوا وهذه الجريدة عندي في الشرق الأوسط: إذا جمعت بين آراء هؤلاء في كل بلد وفي كل وقت تخرج بنتيجة: إن القوم يحاولون القضاء على الإسلام الأصيل ليأتوا بالإسلام الجديد، ولكن الله يأبى ذلك، يأبى الله ذلك والمؤمنون جميعًا.

وقد حاول غيرهم من قبلُ مَن هم أدهى منهم في السياسة والفهم فعجزوا، كم حاول المأمون العباسي أن يقضي على العقيدة الإسلامية قضاءً فعجز، وأظهر الله هذه العقيدة والمفهوم الإسلامي الصحيح أظهره الله بعد ذلك بدءً من صبر الإمام أحمد بن حنبل وجهاده، ومرورًا بتجديد ابن تيمية، وأخيرًا بالتجديد الجديد الذي نعيش أثره، الذي استفاد منه تجديد ابن حنبل وابن تيمية تجديد ابن عبد الوهاب الذي انتشر على أثر تجديده كتب السلف، فطُبعت وانتشرت، فجعل شبابنا اليوم يدرسون الكتب السلفية كأنها أُلفت من جديد.

يأبى الله الذي أبقى على هذه العقيدة لهذه الأسباب يأبى الله أن يحقق للإسلاميين المتعاونين مع البعثيين والعلمانيين والنسائيين أن يتحقق لهم ما يريدون، فتياتنا مخدوعات، لا ينبغي الحمل عليهن، ينبغي الحمل على من حركهن، مخدوعات.

ألا ترون أنفسكم أنتم رجال شباب قد انخدعتم كثيرًا، فيكم مخدوعون، فيكم من يردد عبارات هؤلاء المعلمين الجُدد في حق العلماء والولاة، لماذا لا نكتب؟ لماذا لا نفعل؟ لماذا ولماذا؟

وهل تعالَج المسائل بمثل هذا؟ بالخطاب؟ بالخُطب؟

صحيح إن بعض شبابنا الذين نعتز بهم استمعت إلى خطبته يوم الجمعة، والحادث كان يوم الثلاثاء، وخطب بعض الشباب الصالحين يوم الجمعة بعد الحادث خطبة أثارتني جدًا وحركتني، وحمدت الله أن وُجد بين شبابنا طُلاب علمٍ يفهمون مثل ذلك الفهم.

ذلك الخطيب أغلب ظني أنه من الرياض خطب خطبة مثيرة، الشريط عندي ولكن بدون الاسم، حث الشباب على أن يلتفوا حول العلماء، وأن يستفيدوا من العلماء، ولا ينفردوا بأخذ العلم من بطون الكُتب، وأنه ينبغي أن نُحسن الظن بحكامنا كما عودونا أنهم سوف لا يتركون أن تمر هذه الفتنة بدون عقوبة.

ونحن الآن لا ندري ماذا فعل وماذا يفعل ولاة الأمور ضد هذه الفتنة، في هذه الفتنة من العَجلة ومن عدم التدبير ومن سوء التدبير ومن ضعف السياسة هذا الاستعجال، لا تسكتوا، اكتبوا، ثوروا، قولوا، لا، هذا خطأ.

ما لكم تجارب؟ علماؤنا يعرفون كيف يلتفون، وكيف يتكلمون، ومتى يتكلمون، ومع مَن يتكلمون، وفي أي مجلس يتكلمون، وولاة الأمور نُصحهم ليس على المنابر، مَن له استطاعة أن يذهب إليهم ويأخذ بأيديهم ويجلس معهم في جلسة خاصة هادئة مناسبة لمقامهم ومنصبهم فينصحهم ويقدم لهم كل ما لديهم من النصائح.

هذا ما نعرفه في علمائنا، ولا نزال نظن بهم هذا الظن، ونعتقد فيهم هذا الاعتقاد، إنهم سوف يتصلون بهم فيقدِّمون لهم ما لديهم من النصائح، قُبلت أو لم تُقبل، هذا هو الواجب.

أما الوقوع في أعراضهم وتشكيك الناس فيهم وإضعاف الولاء بينهم وبين المجتمع دعوةٌ إلى الجاهلية وإلى الفتنة، هذا المجتمع الذي عاش فترة طويلة لا يعرف إلا الولاء، لا يعرف الشباب إلا التحابب فيما بينهم في الله، وبينهم وبين علمائهم، ندعوا اليوم الناس لتتضارب الآراء وليشكوا في علمائهم وفي ولاة أمورهم، وينصرف كل شابٍ برأيه وليس له رأي، من أين له رأي؟

يريد أن يكتب، يريد أن يقول، اتصلوا بهيئة كبار العلماء المسئولون عن الفتوى وعن الآراء، ما الذي فعلوا، وما الذي يجب الآن أن يُفعل ضد ذلك الحادث؟ هل سُكت عنه؟ هل المسألة قيد بحث ودراسة؟ لا تدرون.

وتريدون أن تتكلموا بدون علم وبدون فَهم وبدون بصيرة: لا يجوز، لا تكونوا فتنة للناس، الفتنة نائمة فلعن الله على مَن أيقظها، لا توقظوا الفتن، واعلموا أنكم في خيرٍ وأمنٍ وأمانٍ وعافية، والناس من حولكم كما قلت لكم فيما مضى بين أحد رجلين:

رجلٌ يغبطكم غِبطة، ويتمنى أن يحصل له ما حصل لكم من سلامة العقيدة والتمسك بالإسلام وطِيب الحياة والهدوء والأمن والأمان، هذا إنسانٌ فيه خير.

الآخر حاسد، يتمنى أن تزول هذه النعم عنكم، وأن تكونوا كغيركم في قَلَقٍ واضطراب وحياةٍ ضنكًا، من الناس مَن يتمنون وهم حُسَّاد هذا المعنى.

فاعلموا أنكم في نعمة ما يتمتع بها غيركم، وأنتم تعلمون ليس في هذا أدنى مبالغة، لا تتهاونوا بهذه النعمة حتى لا تزول، اشكروا الله عليها، وأكثروا من الدعاء والتضرع إلى الله في سجودكم وفي أوقات الإجابة، ليحفظ الله عليكم دينكم وعقيدتكم وإسلامكم، وأن يُصلح أحوال ولاة أموركم.

الدعوة لولاة الأمور من أهم الدعوات، كما يُروى عن الإمام أحمد أنه يصرف أي دعوة يظن أنها مستجابة يصرفها لولاة الأمور.

فرقٌ بين أن تدعوا لهم بإخلاصٍ أن يوفقهم الله ويُصلحهم ويُصلح لهم البطانة، وبين أن تنتقدهم على رؤوس الأشهاد، هل أنتم معنا أو مع العلمانيين؟ انظروا إلى هذا الخطاب.

هل أنتم معنا؟ من أنتم حتى يكون الخطاب معكم؟ ما هذا الأسلوب اللاإنساني؟ هل أنتم معنا أو مع العلمانيين؟ وهل أنت كُفؤ أن تقول لولاة الأمور ولكبار العلماء أنت تقول لهم: أنتم معنا؟ أنت التابع لهم أو هم التابعون لك؟

تعبير جديد وقليل الأدب، لا ينبغي أن تغتروا بمثل هذه الأساليب المثيرة.

يخشى أن تُسلبوا هذه النعمة بسوء التصرف، وهل اجتماعنا هذا وانتقال بعضنا من مدينة إلى مدينة بكل أمان واطمئنان وهنا وهناك وهذه المدارسة وهذه المناقشة ثمرة من ثمار الأمن والأمان، هذه النعمة التي فقدها كثيرٌ من الناس في أقطارهم، ومَن فقد هذه النعمة في أرضه إلى أن يهرب؟ إلى هذا البلد.

ولكن للأسف قد يخرج من بلده مطرودًا، فإذا اطمأن بدلًا من أن يشكر الله تمرد، وعلَّم شبابنا البيعة للمجهول، الله المستعان.

تعالى نبايعه، لا ينبغي أن يموت الإنسان وليس في عُنقه بيعة، قل لهذا المخدوع والغشاش: أنا في عُنقي بيعة، أنا أعيش في دولة إسلامية، أنا لي الولاء، أين الذي أبايع له؟ لمجهولٍ لا أراه ولا أسمع عنه، أين هو؟ أظهِره.

أما ترى أن هذا الموضوع الغامض أكثر غموضًا من موقف الروافض الذين يعيشون على بيعة وإمامة إنسان في السرداب لم يُولد قط، ولكن زعموا أنه في السرداب ولكنهم عينوا مكانه.

قولوا لهؤلاء: عيِّنوا مكان المبايعة له، أين هو؟ في أي سرداب؟ في أي أرض؟ لا وجود له، يقول: بعدين، الآن اسمع وبايع، سوف يظهر وسيقيم الدولة تحت كل سماء وفوق كل أرض، وهو غير موجود.

هذا الذي يأخذ عليكم البيعة أجهل منكم، أنتم أعلم منه، أنتم أصحاب العقيدة وأصحاب التوحيد، وحملة الشريعة، يأتي مدرس الخط ومدرس العلوم والرياضيات يقول: تعالوا بايعوا، أنت اذهب وتعلم دينك أولًا، ما درست الدين حتى تدع الناس إلى البيعة الإسلامية.

البيعة أيها الشباب ليست لشيخ قبيلة أو لشيخ طريقة أو لرئيس تنظيم، البيعة للولي المسلم الذي اجتمعت كلمة المسلمين على يده هو الذي يبايَع، وأنتم قد بايعتم يُمثِّلكم آباؤكم وكباركم وإن كنتم أنتم صغار، أنتم تعيشون تحت رايةٍ إسلامية تحمل كلمة التوحيد: أشهد أن لَا إِلَه إِلَّا الله وأن محمدًا رسول الله.

هذه الكلمة التي ترفرف فوق رءوسكم ليست مجرد كلمة كُتبت في قماشة خضراء، لا، بل أنتم تطبقونها، لا تعبدون إلا الله، ولا تشركون به شيئًا، وتدعون الناس إلى هذا التوحيد، إذًا أنتم أهل توحيد في رايتكم وفي عملكم وفي تصرفكم وفي دعوتكم.

مَن منكم يقوم حتى يأتي يأخذ عليكم البيعة؟ أنتم خيرٌ منهم، احمدوا الله على ما أنتم عليه من نعمة الإسلام، نعمة التوحيد، نعمة العقيدة، أنتم الذين ينبغي أن تكونوا قدوة لغيركم، كونكم لا تقدِّرون هذه النعمة التي أنتم فيها.

ويأتي أستاذ أو طبيب أو مدرس غير دارس للإسلام يضحك عليكم أنتم الذين تدرسون الإسلام فيُضللكم ويضرب بعضكم ببعض، ويشوش عليكم، ويشردكم من حول علمائكم وولاة أموركم، عار هذا عليكم أن تقفوا هذا الموقف.

يصدُق عليكم إن فعلتم ذلك قول الشاعر:

ولم أرى في عيوب الناس عيبًا　　　كعجز القادرين على التمام

***

أنتم القادرون على فَهم الإسلام وعلى نشر الإسلام، وزملائكم الذين تخرجوا قبلكم من كلياتكم ينشرون الإسلام الآن في الآفاق، فيأتي ويضحك عليكم شخص لم يدرس الإسلام، تعلَّم الخط، كان المفروض أنت الذي تدعوه إلى الإسلام، ما درسنا الإسلام، هو أنت الذي درست الإسلام.

انتبهوا لأنفسكم، وكل ذي نعمةٍ محسود، أنتم في نعمة، بالنسبة لهذه المشكلة الأخيرة الحدث الجديد فتنة النساء: ثِقوا تمامًا حسب معرفتنا السابقة في علمائنا وولاة أمورنا أنهم سوف لا يسكتون.

ولعل الله يُسمعنا نتيجة للدراسة المتأنية والمشاورات الإسلامية الهادئة الهادفة، نسأل الله أن يُسمعنا نتيجةً تُثلج صدورنا وتُحزِن أعداءنا، هذا ما نتمناه، هذا ظننا فيهم الذي عرفناه فيهم منذ زمن طويل.

أنتم أيها الشباب بالنسبة للقضايا السياسية ينبغي أن تعرفوا أن فَهم القضايا السياسية أصعب من فهم الأحكام الفقهية ومسائل التوحيد.

كما أنكم بحاجة إلى مَن يشرح لكم الأحكام ويعلِّمكم مسائل التوحيد وشُبه أهل الكلام وإلحاد الملحدين، أنتم بحاجة إلى مَن يشرح لكم السياسة الإسلامية الحكيمة.

ليست السياسة هذه الزعزعة، السياسة كما قلت: حُسن التدبير والحكمة، وليس كل إنسان يُحسِن الاستنتاج من الأخبار مما يسمع ومما يقرأ أن يستنتج الآراء السليمة الصحيحة في السياسة.

لذلك وإن أطلت عليكم فتحملوا هذه الإطالة وهذا التكرار، لأني أُحس بقلقٍ شديد نحوكم في هذه الآونة الأخيرة.

ليس لي من الأمر شيء حتى تكونوا على قلب رجل واحد، كنت أتمنى ألا تتأثروا، وأن تُحسنوا الظن بعلمائكم وبولاة أموركم، وتعتقدوا فيهم أنهم سوف يعالِجون القضايا بطُرقٍ حكيمة ومدروسة، وبدون عَجلة، هذا ما كنا نعرفه فيهم.

ليست سياستهم سياسة خرقاء، بل بتؤدةٍ وبتريث وبتشاور، هذا الذي عرفنا فيهم، ولا نزال نُحسن بهم الظن مع كثرة الدعاء لهم بالتوفيق.

ونحن نعلم عندما نقول هذا الكلام ماذا يقول المراهقون السياسيون والمراهقون الدعاة، يقولون: هؤلاء يداهنون، نحن نعلم مُسبَّقًا ما يقال فينا وفي أمثالنا: هؤلاء يداهنون، هؤلاء من الحواشي، فلنكن حواشيًا أو غيره ليس بمهم، المهم أن نبذل النُصح: قُبل النُصح أو لم يُقبل، **«الدين النصيحة»**.

وأنتم في هذا الوقت وفي هذا الجو أحوج ما تكونون إلى النصيحة المكررة.

لذلك نُكرر لكم النصيحة: أن تتثبتوا في هذا الوقت وتتريثوا ولا تستعجلوا، وأن تصرفوا هممكم وأن تشغلوا أوقاتكم في التحصيل، التحصيل التحصيل، للسياسة أربابها، وللمحافظة على الأمن أصحابها، ولكن أنتم واجبكم الاشتغال بالتحصيل.

لا تزيدوا شرًا على شر، بدعوى أنكم تريدون أن تفعلوا خيرًا، لا، إن انصرفتم إلى تحصيل العلم فعلتم خيرًا كثيرًا في أنفسكم وفي مجتمعكم، وإن تركتم الاشتغال بالعلم وعلَّقتم أنفسكم بهذه الحوادث والفِتن في التعليق والتحليل في زعمكم، أين لكم التحليل؟ هل لكم أن تحللوا الحوادث؟ لا، لا تستطيعون.

تحليل الحوادث والأمور السياسية في مستوى غير مستواكم، لم تبلغوا ولم تنضجوا، أنتم أولادي أصارحكم، لستم أهلًا لتحليل المسائل والقضايا السياسية، فوق مستواكم.

العاقل مَن عرف قدره، واجبكم الانصراف إلى التحصيل والدراسة، مع احترام علمائكم وتقديرهم والاستفادة منهم.

عندكم في الإذاعة مدارس حية، مدارس العلماء، إذاعة القُرآن، تستفيدوا من هذه المدارس الناطقة مع دراستكم وما تقرئون في الكتب، إن قرأتم أخبارًا سياسية احفظوا، وإن شئتم احفظوا عندكم حتى تنضجوا، فيما بعد تتكلمون.

أما الآن كونكم تشغلوا أنفسكم بالتعليقات السياسية والخوض في شئون القضايا السياسية الصعبة التي فوق طاقتكم تضييع للوقت وتدخُل فيما لا يعني.

ربما أقول يعنينا، لكن يعنيكم بحسب علمكم ومقدرتكم، فلتُحسن الظن بمن هو أعلم منك وأكبر منك سنًا وأكثر منك تجربة، دعوا الأمور والقضايا الصعبة لهم، وحصِّلوا العلم.

وبالله التوفيق.

وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

الأسئلة

السؤال: رجل متزوج زوجتين، جرت العادة عندهم أن يضحي بكبشين أو أُضحيتين، فما حكم هذا العمل، وهل يجوز للرجل أن يضحي بأكثر من أُضحية؟

الجواب: الأضحية إذا أردت أن تكون أضحيتك أضحية شرعية لا عادية: الكبش الواحد يكفي عنك وعن أسرتك جميعًا، سواءً عندك زوجة أو زوجتين أو ثلاث أو أربع، تضحي بكبش واحد عنهم جميعًا.

وقد ضحى رسول الله عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم عنه وعن أمة محمد بكبش.

أما إذا كان عندك زوجتان، في كل بيتٍ تذبح كبشًا: إن كان الغرض الإكثار من أكل اللحم، هذا شيء آخر.

أما سُنة الأضحية فتقع بكبش واحد عن البيتين والثلاثة والأربعة.

فحكم الأضحية عند الجمهور سنة مؤكدة، وعند بعضهم واجب، سواءً قلنا بالوجوب أو بالاستحباب لا نبالغ ونُكثر خصوصًا في هذا الوقت: أنت عندك قد تكون مسئوليات أخرى، من باب الاقتصاد لا ينبغي أن تكثر وتُسرف في السنن وفي الأمور التي يكفي فيها شيء واحد أن تضحي بأكثر من واحدٍ.

فإذا كان الغرض إرضاء صاحبات البيوت، فينبغي تعليمهن الهدي النبوي عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم، فكل خيرٍ في اتِّباع الرسول عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم.

ولا ينبغي أن تغلب العادة على الشريعة، ينبغي أن نضغط على العادة ونُخضعها للشريعة.

قد يكون الإنسان غير قادرًا أن يذبح في كل بلد، ولكن يذهب يتسلف، قد يتسلف ليشتري أكثر من طاقته، لا، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، هذه سنة مؤكدة، وهو واجب من الواجبات على اختلاف أهل العلم.

هذا ما يحضرني والله أعلم.

وإذا أردت أيها السائل أن تأخذ إجابة مقنعة للبيوت كلها: اكتب بهذا السؤال إلى برنامجٍ نور على الدرب، ثم استمع ماذا يقول كبار علمائنا، هناك الجواب الفيصل الذي يُرضي جميع البيوت.

السؤال: قلتم إنكم تعذرون الإمام ابن حزمٍ، فكيف نفسر قول الإمام تلميذ شيخ الإسلام ابن عبد الهادي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ورحم الله ابن حزمٍ أيضًا، وهذه من عندي، عندما سُئل عن ابن حزم، فقال: جهمي؟

الجواب: آراء الرجال بعضهم في بعض تختلف، فمثلًا: الحارث المحاسبي، كان الإمام أحمد يسيء به الظن كثيرًا، لأن المحاسبي في آراء علماء الكلام وفيه شطحات صوفية، كان يأمر تلامذته بعدم مجالسة المحاسبي الحارث الأسدي، ولكن ابن تيمية ينقل من كتابه، الكتاب طُبع الآن، من أصول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ومراجعه كتاب المحاسبي الذي طُبع الآن: معرفة الحقوق أو معرفة حقوق الله، أو العرفان في حقوق الله، بهذا العنوان طُبع الكتاب الآن.

هذا الكتاب فيه شطحات الصوفية، وفيه شيء من آراء علماء الكلام.

لما علم الإمام أحمد بموقف الرجل وعدم نظافة عقيدته النظافة الكاملة، وقد جرَّب الإمام أحمد المعتزلة أيام المحنة، بعد أن خرج ونجح في المحنة، ولُقِّب بإمام أهل السُنَّة والجماعة كان شديدًا على كل مَن اتُهم بعلم الكلام والتصوف، وينصح ويمنع تلامذته من مجالسة المحاسبي.

فجاء ابن تيمية بعده ووجد في كتابه كلامًا يناسب كلام أهل السُنَّة والجماعة، فنقل في الحموية نقولًا كثيرة من المحاسبي.

بمعنى إذا اختلفت آراء العلماء في رجل من رجال العلم، يوضع على ميزان العلم، أي الأمرين أكثر في هذا الرجل: خدمة السُنَّة وخدمة الإسلام، أو أنه يحارب السُنَّة ويحارب العقيدة الإسلامية؟

إذا درسنا حياة ابن حزم سنجد رجلًا حازمًا وشديدًا في التمسك بالسنة، ويدعوا إلى التمسك بالسنة، ويحارب التقليد حربًا شعواء.

ولكن الرجل بالنسبة للعقيدة لم يُوفَّق إلى أساتذة سلفيين أو مراجع سلفية، أراد أن يجتهد كما اجتهد في الفروع، فأخطأ كثيرًا في باب العقيدة.

من ذلكم يمكن أن توجد هناك صفات لله تعالى وإنما هي أسماء: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠]، يقول: من أين لكم ذِكر الصفة؟ هاتوا الدليل، ويطالبك بالدليل، عندك دليل؟ بالنسبة للأسماء في الكتاب، من أين ذِكر الصفة؟

ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى لم يطَّلع على حديث في قصة سورة الإخلاص الذي أشرنا له إشارة، هذه السورة سورة الإخلاص قصتها: كان صحابيٌّ يصلي بالناس، بعد أن يقرأ الفاتحة وما تيسر من القُرآن يختم بسورة الإخلاص.

شُكي إلى رسول الله عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامَ في ذلك، فأحضره النبي عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامَ وسأله: لماذا يفعل هذا؟ قال: إني أُحب لأنها صفة الرحمن.

استدل أهل العلم على إطلاق الصفة في حق الله تعالى بهذه القصة، وابن حزم لم يطلع على هذا الحَدِيث.

مشكلة ابن حزم عفا الله عنه ورحمه إذا أراد أن يناقش لا يترك لنفسه كما يقولون: خط الرجعة، يتشدد حتى لا يستطيع أن يتراجع، هذه مشكلته، وإلا له مواقف ينبغي أن تُشكر له، وله مواقف يؤاخَذ فيها، مثل هذا يعزره الإمام ابن تيمية الذي يتهمه خصومه بشدة ولا تجده أرحم منه في هذا المقام.

وقد قال في فطاحل علماء الكلام الذين أعرضوا عن السُنَّة وعن الكتاب اكتفاءً بالأدلة العقلية، كان يقول لهم: لو كنت أنا مكانكم لحكمت على نفسي بالكفر، ولكنكم جهال، راجعوا مقدمة كتاب الرد على البكري في هذه القصة.

أي إن ابن تيمية يرى أن الإنسان يُعذر بالجهل وبوجود الشُبه، حتى في أصول الدين لا في الفروع فقط.

لذلك ابن حزم وغيره من كبار علمائنا الذين وقعوا في التأويل أحيانًا كالحافظ ابن حجر والإمام النووي والبيهقي والإمام الشوكاني نلتمس لهم الأعذار، ولا ينبغي أن يُلحقهم بعلماء الكلام، ليسوا من علماء الكلام بل هم من علماء السُنَّة الذين هفوا بعض الهفوات.

فنسأل الله تعالى أن يعفو عنهم، وأن يشكر لهم، لأنه شكور، من أسماء الله تعالى الشكور، أن يشكر لهم ما قدموا من خدمة الكتاب والسنة للمسلمين.

هذا الجواب قد يكون طويلًا، وملخصه: ينبغي أن تتريثوا بالنسبة لكبار العلماء والأئمة الذين خدموا الكتاب والسنة في مؤلفاتهم واستفاد منهم العلماء المعاصرون وأنتم معهم، إذا وقفتم لهم على بعض الهفوات اعذروهم، ولا تُلحقوهم بعلماء الكلام المخالفين للكتاب والسنة، وبالله التوفيق.

هذا السائل عفا الله عنه ما كان ينبغي أن يسأل مثل هذا السؤال، ولكن سؤاله هذا يجعلني أن أنصحكم نصيحةً واجبة: بحمد الله لم يذكر اسمه، ولا أرجوا أن يذكر اسمه وأن يشير إلى نفسه، قد يبقى مجهولًا كما بقي رئيس الجماعة مجهولًا.

السؤال: إذا قلنا أن الكرسي موضع القدمين، ونسبته إلى العرش كحلقة في فلاةٍ، فهل يعني ذلك أن نسبة القدمين إلى ذات الله تعالى كنسبة الكرسي للعرش؟

الجواب: عفا الله عنك، عفا الله عنك، ويعذرك لأنك صاحب شُبهة، لأنك جرئ تعيش في وقت الجُرأة، لو سمع سلفنا مثل هذا السؤال لاندهشوا أكثر من اندهاش الإمام مالك لما قيل له: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ كيف تجرأت أن تقول: نسبة القدمين، وأنت تعلم القدم صفة من صفات الله تعالى، تجعل النسبة تتحدث عن نسبة القدمين؟ يا سبحان الله.

هذا الباب أيها الشاب السائل وأيها الشباب بابٌ خطير، هذا باب في أسرار، لله تعالى أسرار في باب الأسماء والصفات، وله أسرار في باب القضاء والقدر وأفعاله.

مَن يريد أن يفكر في ذات الله تعالى وفي صفاته ليُدرك الحقيقة والكُنهة يهلك، فكر في خلق الله في السماوات والأرض، فكر في مخلوقات الله تعالى ولا تتفكر في ذات الله ولا في أسمائه وصفاته، عليكم أن تسلِّموا لله إذا وصف الله نفسه بأي صفة.

وعليكم أن تسلِّموا لرسول الله عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ إذا وصف الرسول عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ ربه بصفة، إذ لا يصف الله أعلم من الله، ولا يصف الله من خلقه أعظم من رسوله عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ.

المسألة مسألة الإيمان بالغيب من صفات المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، هذا غيب، حقائق الصفات، كيفيات الصفات، لا ينبغي أن تسأل.

كما لا يجوز لك في باب القضاء والقدر لِمَ فعل؟ لِمَ أحيا؟ ولِمَ أمات؟ ولِمَ أشقى؟ ولِمَ أسعد؟ لا يجوز لِمَ في باب القضاء والقدر، لا يجوز في باب الأسماء والصفات السؤال بكيف، كيف هو؟ كيف قدمه؟ كيف وجهه؟ ما نسبة القدمين للذات أو للعرش؟ أسئلة جريئة لا ينبغي أن تصدر، ومن صدر منه هذا السؤال عليه أن يتراجع ويستحيي من رب العالمين ويتوب فيما بينه وبين الله، ويستر نفسه، ولا ينبغي أن يُعلم ولئلا يُعلم تُمَزَّق هذه الورقة تمزيقًا، والله المستعان.

انتبهوا يا شباب لإيمانكم، لا تتجرؤوا، لا أدري من أين تأتي هذه الجُرأة التي لا نعلمها في طلاب العلم قبلكم، حتى على الله؟

كنا ننصح شبابنا بعدم الجُرأة على علمائنا وعلى الحكام، فإذا هم يتجرؤون في باب الأسماء والصفات على الله؟ يا سبحان الله، لا يجوز هذا.

السؤال: يقول: إن الله ليس أصلًا لشيء ولا فرعًا لشيء، والكتابة مكتوبة بغير عرض، أرجوا التوضيح؟

الجواب: هذه العبارة مَن قالها؟

سواءً كان كلامي أو كان كلام الشارح أو كلام صاحب المتن: التوضيح مطلوب، بمعنى هذا لعلنا قلناه عند قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣].

﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾ [الإخلاص: ٣]، ما معنى ذلك؟ لم يكن والدًا ولا مولودًا، لم يكن أصلًا لشيء كأن يكون والدًا، ولا فرعًا كأن يكون مولودًا، المعنى واضح إن شاء الله.

هناك عبارة في أثناء الدرس الشيخ محمد خليل الهراس رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ يقول عند تفسير كلمة الكرسي، وقيل: ثم ذكر سعة علمه وإحاطته، وأنه لا يخفى عليه شيء من الأمور المستقبلة والماضية، وأما الخلق فإنهم لا يحيطون بشيء من علمه، قيل: يعني: من معلومه، لا يحيطون بشيء من معلومات الله تعالى، قيل: من عِلم أسمائه وصفاته لا يحيطون بشيء من علم أسمائه وصفاته إلا بما شاء الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ أن يعلِّمهم إياه على ألسنة رُسله أو بغير ذلك من طُرق البحث والنظر والاستنتاج والتجربة.

قلت لكم: تجعلون علامة تقولوا: من طُرق البحث والنظر والاستنتاج والتجربة.

لِمَ قلت ذلك؟ لأن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية.

وهل هناك أسماء يُمكن أن تُعرف بطريق البحث العلمي والنظر والتدقيق والاجتهاد والاستنتاج والتجربة؟ هذا محل بحث، هذا الكلام ليس بمسلَّم على ظاهره حتى يُبحث ويُعرف ماذا يريد الشارح بهذا الكلام، فليبقى قيد بحثٍ إن شاء الله.

عندما تبحث ترجع المظنة كُتب شيخ الإسلام، لأن شيخ الإسلام عاشر فِرق أهل الكلام الذين يتجرؤون على الله وعلى أسماء الله وصفاته، وناقش أساليبهم، وكان شيخ الإسلام ينصح عدم استعمال الألفاظ المُبهمة التي تحتمل الحق والباطل كالجهة والعرَض والتحيز والمكان.

لعل في أثناء البحث في مثل هذه المواطن يمكن يتعرض لمثل هذا البحث، وشيخنا محمد خليل هراس إنما هداه الله إلى منهج السلف من قراءة كُتب شيخ الإسلام، بعد أن تخرَّج فيلسوفًا متكلمًا منطقيًا أراد الله له الهداية ووقف وعكف على كُتب شيخ الإسلام نحو ثلاثة أشهر، فهداه الله.

من ذلك المرجع كُتب شيخ الإسلام للتأكد من مرادهم بهذه العبارات، لأن هذه العبارات موهمة، وأنا غير مقتنع بمضمون هذه العبارات، وبالله التوفيق.

وبهذا نختم جلستنا المباركة هذه إن شاء الله على أننا وإن كنا فيما تقدم اعتذرنا عن الجلسة بعد العشاء ليلة غد، ولكن تراجعت سوف أجلس معكم ليلة غدٍ إن شاء الله، فهذه الجلسة بالنسبة لمن لا يسافر، لعلنا نُكمل بعض النقاط، وإن كانت أسئلتكم كثيرة لا يمكن الإتيان عليها جميعًا، لكن ما تيسر إن شاء الله.

وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وآله وصحبه.

وربما ذكر بعض صغار طلبة العلم أن شيخ الإسلام أنكر ذلك، ولكن اتضح بالرجوع إلى بعض كُتب شيخ الإسلام بأن الطالب واهم، الذي قال أن شيخ الإسلام يُنكر ذلك فهو واهٍ.

الصحيح أن شيخ الإسلام يبين ما هي الأصول، الأصول يقول: المطالب الإلهية والنبوات وأمور الغيب، هذه الأصول.

المراد بالمطالب الإلهية: صفات الله تعالى وأسماؤه، وأفعاله، وما يجب الإيمان به، وما يتعلق بالنبوات وأمور المعاد، هذه من أصول الدين التي لا تقبل الاجتهاد، والتي تؤخذ من النص، أصلها الوحي، فهو مصدر تلك العلوم وتلك المسائل، ولا شيء غير الوحي.

أما المسائل الفقهية الفرعية التي تخضع للاجتهاد ويختلف فيها علماء المسلمين وتختلف وُجهات النظر في الاستنباط من النصوص في باب الطهارة، في الصلاة، في البيوع، في جميع أبواب الفقه، هذه تسمى مسائل فرعية، تتفرع من الأصول، أي من الأدلة من أدلة الكتاب والسنة.

للاطلاع على هذه المسألة ارجعوا إلى المجلد الثامن من مجموع فتاوي شيخ الإسلام.

وبالله التوفيق.

وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وآله وصحبه.